شُكرًا لسيدنا يوسف

يقول الكاتب الفلسطيني- أدهم شرقاوي- : قبل عدة أيام انهيت قراءة رواية "أنا يوسف" للكاتب الكبير أيمن العتوم، ومهما كتبت فلن أوفيها حقها أبداً.. رواية متميزة، فيها تفاصيل دقيقة من قصة سيدنا يوسف عليه السلام، تفاصيل لم أكن اعرفها كلها على الرغم من قراءتي المتعددة لسورة يوسف.. لا يسعني القول إلّا أن هذا الكاتب لديه أسلوب إبداعي ساحر ! غني عن التعريف لمن يقرأ رواياته.

و اليكم هذا النص المقتبس، وعنوانه "شكرا لسيدنا يوسف"

1- شُكرًا لسيدنا يوسف، من قصتك تعلمتُ أن بعض الناس يكرهوننا لمزايانا وليس لعيوبنا..

فقد كرهوك لأنك..

جميل..

وطيّب ..

ولا تشبههم..
والناس لايريدون من يذكرهم بنقصهم !

2- وتعلمتُ أن الطعنة تأتي أحيانًا من حيث لا نحتسب، وأنكَ حين سلمتَ من الذئب لم تسلم من إخوتك !

3- وتعلمتُ أن لا أقصص على الجميع كلَّ خيرٍ وهبني الله إياه؛ لأن البعض عيونهم ضيقة، وقلوبهم أضيق..
ينظرون إلى ما في أيدي الآخرين أكثر مما ينظرون إلى ما في أيديهم .

4- وتعلمتُ أن المجرمين يلبسون أحيانًا ثياب الناصحين..
فقد قال إبليسُ لأبيكَ آدم من قبل:
" هل أدلك على شجرة الخلد "..
وقال إخوتك لأبيكَ يعقوب:
" إنا له لناصحون "
" وإنا له لحافظون !"

5- وأن بعض الشر أهون من بعض..
وأن الناس كما يتفاوتون في صلاحهم يتفاوتون في شرهم..
وقد أنجاك أقل إخوتك شرًا إذ قال :

" لا تقتلوا يوسف !"

6- وتعلمتُ أن لا أبوح بمخاوفي كي لا يحاربني الناس بها فقد قال أبوك:
" أخاف أن يأكله الذئب ".. وقال له إخوتك إنّ الذئب قد أكلك .

7- وتعلمتُ أنه لا يوجد جريمة كاملة..
وأن المجرم تُوقع به تفاصيل صغيرة فاته أن ينتبه لها..
فقد نسي إخوتك أن يمزقوا قميصك..
فأي ذئب هذا الذي يفترس صبيًا ويبقى قميصه سالمًا !

8- وتعلمتُ أن الخير والشر ليس في الأشياء..
وإنما في طريقة استخدامنا لها !
فقميصكَ كان مرةً أداة كذب..
وكان مرةً دليل براءة..
وكان مرة دواءً..و شفاء.. !

9- وتعلمتُ أن هذه الدنيا لا خير فيها، بئس دار تُباع وتُشترى فيها أنتَ بدراهم معدودة !

10- وتعلمتُ أنّ المدارس والجامعات والكتب ليست إلا أسبابًا..

وأن المعلم الحقّ هو الله :

" لنعلمه من تأويل الأحاديث "..

" آتيناه حكمًا وعلمًا "

وأن الله يهب العلم على قدر التقوى ..

" واتقوا الله ويعلمكم الله " وأن المسألة لم تكن يومًا مسألة عقول بل مسألة قلوب !..

11- شُكرًا لسيدنا يوسف، من قصتك تعلمتُ أن الكريم لا يغدر ..

وأن الحر لا يقابل الإحسان بالإساءة..

وأن النبيل لا يبصق في بئر شرب منه..

فما أجملك وأنتَ تقول:

" معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي !"

13- وتعلمتُ أن المعصوم من عصمه الله، وأن المفتون من تركه الله لشهواته، وأن من كان مع الله في يسره كان الله معه في شدّته !

14- كما تعلمتُ أن العالم كله لا يمكنه أن يجبرني على فعل ما لا أريد أن أفعل.. فتوقفتُ عن التعلل بالظروف و الأوضاع ! كانتْ امرأة العزيز سيدتك، أغلقتْ عليكَ الأبواب، راودتك..

اجتمع فيها:

الجمال..
والسلطة..
والرغبة..
ولكنك قاومت لأنكَ لا تريد !

15- وتعلمتُ أن الله إذا أراد أن يُظهر أمرًا ، لا يستطيع كل الناس ستره.

16- شُكرًا لسيدنا يوسف، من قصتك تعلمتُ أنّ في السجن مظلومون كُثر، وأن الناس قد يدخلون السجن عقابًا على عدم ارتكابهم الذنب، وأن الظلم قديم في الناس .

17- وتعلمتُ أن حلاوة الإيمان تغلب مرارة الحياة، وأن حلاوة إيمانك أنستكَ مرارة السجن، وأنك لو خنتَ – ومعاذ الله أن تفعل – لصار القصر على اتساعه ضيقًا عليك .

18- وتعلمتُ أن في كل مكان متسَّع للدعوة، مملوكًا في القصر تدعو إلى الله، سجينًا في السجن تدعو إلى الله، عزيزًا على كرسي الملك تدعو إلى الله .

19- وتعلمتُ أن المعدن الأصيل لا تُغيره الأماكن، في السجن قيل لك " إنا نراك من المحسنين " وعلى كرسي الملك طلبوا منك العفو لأنهم رأوك من المحسنين

!

20- شُكرًا لسيدنا يوسف، من قصتك تعلمتُ أن الحسد وراء كل شر، فهو أول ذنب عُصي الله به في السماء،
وما رفض إبليس السجود لآدم إلا حسدًا، وهو أول ذنب عُصي الله به في الأرض، فما قتل قابيل أخاه إلا حسدًا، وما أُلقيتَ في الجب إلا حسدًا .

21- وتعلمتُ أنّ الفساد يكون غالبًا من سوء الإدارة لا من قلة الموارد، وأنك حين نجوتَ بأهل مصر من القحط لم تأتِ لهم بموارد جديدة، وإنما بعقلية إدارية جديدة للموارد القديمة .

22- وتعلمتُ أن الدنيا حرب مستعرة بين الحق والباطل لا تهدأ إلى قيام الساعة، الجنود فقط هم الذين يتغيرون، صراعك مع امرأة العزيز هو صراع العفة والشهوة في كل عصر، وصراعك مع إخوتك هو صراع الحب والبغض في كل عصر .

23- وتعلمتُ أن أُخطط وأدبر، وأنه لا يصل الناس إلى حاجاتهم إلا بالتخطيط والتدبير، القحط كان له خطة وتدبير، وإبقاء أخيك عندك كان له خطة وتدبير !

24- وتعلمتُ أن الله دومًا يختار سلاحًا للمعركة لا يخطر على بال أحد، كان

قادرًا أن يُرسل ملائكة ليحطم جدران السجن ويُخرجك، ولكنه أرسل إلى الملك حُلُمًا !

25- وتعلمتُ أن المناصب تكليف لا تشريف، وما طلبتَ خزائن الأرض لتملكها وإنما لتوزعها، ولو علمتَ أقدر منك على هذا ما طلبتها !
26- وتعلمتُ أن للحب رائحة لا يعرفها إلا المحبون، لذلك وجدَ أبوك ريحك قبل أن يصله قميصكَ !

27- شُكرًا لسيدنا يوسف، من قصتك تعلمتُ أن لا أشكو بثي وحزني إلا إلى الله، فالناس إما محب وإما مبغض، والمحب سيحزن لأجلي، والمبغض سيشمت بي، وكلاهما لا يملك من أمر حزني شيئًا، فلماذا لا أشكو بثي إلى من بيده الأمر كله؟!

28- شُكرًا لسيدنا يوسف، من قصتك تعلمتُ أن أتجاهل لإبقاء ود، وأن أتصرف كأني لم أفهم لإبقاء علاقة، وقد أسررتها في نفسكَ وكنتَ قادرًا على أن لا تفعل، ولكن النبيل يتجاهل، وقد قالت العرب ، سيد قومه المتغابي .

اللهم وفقنا لما تحب وترضى.